

/ سُورَةُ التَّحْرِيمِ

١٦ / ٥٧

وَسَأَلَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عن قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التَّحْرِيمِ: ٨] هل هذا اسم رجل كان على عهد النبي ﷺ أم لا؟ وإيش معنى قوله: ﴿ نَّصُوحًا ﴾؟

فَأَجَاب:

الحمد لله، قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وغيره من الصحابة والتابعين - رضى الله عنهم: التوبة النصوح: أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه، و"نصوح" هى صفة للتوبة، وهى مشتقة من النصح والنصيحة.

وأصل ذلك هو الخُلُوص. يقال: فلان ينصح لفلان، إذا كان يريد له الخير إرادة خالصة لا غش فيها، وفلان يغشه، إذا كان باطنه يريد السوء، وهو يظهر إرادة الخير كالدرهم المغشوش، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة: ٩١] أى: أخلصوا لله ورسوله قَصْدَهُمْ وَحُبَّهُمْ. ومنه قوله ﷺ فى الحديث الصحيح: / «الدين النصيحة، ثلاثا» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «الله، وكتابه، ورسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»^(١).

فإن أصل الدين هو حُسْنُ النية، وإخلاص القصد؛ ولهذا قال ﷺ: «ثلاث لا يُغْلُغُ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم، تحيط من ورائهم»^(٢) أى: هذه الخصال الثلاث لا يحقد عليها قلب مسلم بل يحبها ويرضاها.

فالتوبة النصوح: هى الخالصة من كل غش، وإذا كانت كذلك كائنة فإن العبد إنما يعود إلى الذنب لبقايا فى نفسه، فمن خرج من قلبه الشبهة والشهوة لم يعد إلى الذنب، فهذه التوبة النصوح، وهى واجبة بما أمر الله - تعالى، ولو تاب العبد ثم عاد إلى الذنب، قَبِلَ

(١) مسلم فى الإيمان (٥٥ / ٩٥) عن تميم الدارى .

(٢) ابن ماجه فى المقدمة (٢٣٠)، عن زيد بن ثابت، والدارمى فى المقدمة ١/٧٥،٧٤، وأحمد ٤/٢٨٠، كلاهما عن جبير بن مطعم عن أبيه، وأحمد ٣/٢٢٥، عن أنس .

الله توبته الأولى، ثم إذا عاد استحق العقوبة، فإن تاب، تاب الله عليه أيضاً. ولا يجوز للمسلم إذا تاب، ثم عاد أن يُصِرَّ، بل يتوب، ولو عاد في اليوم مائة مرة، فقد روى الإمام أحمد في مسنده، عن علي، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله يحب العبد المفتن التواب»^(١)، وفي حديث آخر: «لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار»^(٢)، وفي حديث آخر: «ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم مائة مرة»^(٣).

١٦/٥٩

/ ومن قال من الجهال: إن «نصوح» اسم رجل كان على عهد النبي ﷺ، أمر الناس أن يتوبوا كتوبته، فهذا رجل مفتر كذاب، جاهل بالحديث والتفسير، جاهل باللغة ومعانى القرآن، فإن هذا امرؤ لم يخلقه الله تعالى، ولا كان في المتقدمين أحد اسمه نصوح، ولا ذكر هذه القصة أحد من أهل العلم، ولو كان كما زعم الجاهل، لقليل: توبوا إلى الله توبة نصوح، وإنما قال: ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ والنصوح: هو التائب. ومن قال: إن المراد بهذه الآية رجل، أو امرأة اسمه نصوح، وإن كان على عهد عيسى أو غيره، فإنه كاذب، يجب أن يتوب من هذه، فإن لم يتب وجبت عقوبته بإجماع المسلمين. والله أعلم.

(١) أحمد ١ / ٨٠ ، ١٠٣ ، وقال الهيثمي في المجمع ١٠ / ٢٠٣ : « فيه من لم اعرفه » .

(٢) الديلمي في الفردوس (٧٩٤٤) عن ابن عباس ، وضعفه السيوطي في الجامع الصغير (٩٩٢٠) .

(٣) أبو داود في الوتر (١٥١٤) والترمذي في الدعوات (٣٥٥٩) وقال : « هذا حديث غريب ، إنما نعرفه من حديث أبي نضيرة وليس إسناده بالقوى » .